

آفَاق

تاريخ النشر : AM 1:00 14/5/2009

لماذا يعادي معظم الإسلاميين المرأة؟



u

الكاتب / عمران سلمان

هذا سؤال يبدو جديرا بالإجابة عليه والبحث في تفاصيله. فالإسلاميون (أو الكثير منهم بصورة أدق) أثبتوا في أكثر من بلد عربي وفي أكثر من مناسبة أنهم خصم عنيد لقضية المرأة، مسلحين بفهمهم (الذي يعتبرونه الوحيد والصحيح) لكيفية تعاطي الدين مع هذه القضية.

وحين نتحدث عن قضية المرأة فنحن لا نقصد بالطبع، كما يحلوا للإسلاميين اتهامنا بنشر التحلل والخلاعة والتشجيع على المظاهر، فالقصد هنا هو المساواة في الأهلية السياسية والمساواة في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، والمساواة أمام القانون، كما هو الأمر مع الرجل.

وعداء معظم الإسلاميين لهذه الحقوق جلي وبارز ولا تنقصه الشواهد. ففي الحملة الانتخابية الكويتية الجارية لم يوفر التيار السلفي سلاحا لم يستخدمه لحرمان المرشحات من خوض الانتخابات ودعوة المواطنين إلى عدم التصويت لهن. وبلغ الأمر أن أصدر عضو المكتب السياسي للحركة السلفية مشعل الملعث فتوى يقول فيها "لا يجوز شرعا ويدخل في دائرة الإثم كل من منحهن الصوت، لأنه قد يؤدي بهذه المرشحة أو تلك إلى عضوية المجلس التشريعي التي تعتبر من الولايات العامة الخاصة بالرجال فقط دون النساء". (صحيفة الراي الكويتية الاثنين 4 مايو 2009).

وكان غالبية الإسلاميين الكويتيين قد وقفوا في السابق طوال الخط ضد منح المرأة حقوقها في التصويت والانتخاب.

ولم يكن موقفهم هذا سوى صدى لموقف آبائهم الروحيين في السعودية، الذين يتفاخرون بسد الذرائع وإغلاق جميع الأبواب في وجه المرأة السعودية. وكان آخرها موقف رجل الدين السعودي المتشدد الشيخ عبد الرحمن البراك الذي أصدر فتوى بتاريخ 16 أبريل 2009 يحرم فيها افتتاح النوادي النسائية الرياضية في المملكة. واستند في ذلك على ما أسماه "فقه

الواقع".

ولا يقتصر تأثير هذا الموقف السلبي من المرأة من جانب السلفيين على السعودية والكويت فقط، فهو يمتد إلى باقي دول الخليج الأخرى وإن بصورة متفاوتة، حيث تجري محاولات منظمة لتجريد المرأة من الحقوق التي نالتها في فترات سابقة.

ولكن السؤال الذي يجب أن يثار هنا، هو: هل موقف الإسلاميين من المرأة نابع من الدين الإسلامي نفسه، أم أنه مجرد فهم هؤلاء للإسلام أم يعود لأسباب أخرى؟

وسبب طرح هذا السؤال هو أن التعامل مع قضايا المرأة ليس واحداً في جميع الدول العربية أو الإسلامية.

فكيف نفسر مثلاً وجود رئيسة وزراء في دولة إسلامية مثل باكستان أو بنغلاديش، في الوقت الذي تحرم فيه المرأة في دولة مثل السعودية من مجرد الحق في سيطرة السيارة أو الحق في التنقل من دون محرم؟ وكيف نفسر أن المرأة تحظى بحقوق متفاوتة في بعض البلدان العربية والإسلامية، من بينها الحق في الانتخاب والتصويت وتبوأ مناصب اقتصادية وسياسية وقضائية عليا، بينما يتعين عليها في حالات أخرى أن تكافح من أجل أبسط الحقوق؟

هل إسلام الدول التي تتمتع فيها المرأة بحقوقها يختلف عن إسلام الدول الأخرى؟ وهل هؤلاء أقل أو أكثر إسلاماً من الآخرين؟

بالتأكيد لا. السبب باعتقادي يمكن تلخيصه في أمرين، الأول ويكمن في الطبيعة الاجتماعية للمجتمعات والعادات والتقاليد، بينما يعود الثاني إلى أسباب سياسية ومصالحية بحتة.

فالمجتمعات التي يغلب عليها الطابع البدوي أو العشائري تبدي درجة أكبر من المقاومة لحقوق النساء، وقد ورثت هذا الفهم لدور وموقع المرأة ممن جاءوا قبلها. فمن المعروف أن المرأة في هذه المجتمعات هي في الغالب عبثاً على العائلة. وتاريخياً فإن القبائل العربية كانت تخشى من وقوع نساءها في الأسر وما يمكن أن يلحق بسمعتهن من عار جراء ذلك. ولا يزال قتل النساء فيما يعرف بجرائم الشرف شاهداً على هذه العقلية.

على العكس من ذلك في المجتمعات الحضرية، وحيث تساهم المرأة بفعالية في الوضع الاقتصادي للعائلة، وتعمل إلى جانب الرجل في مختلف المجالات، فإن النظرة لها تبدو أقل سلبية، وحيث تم السماح للمرأة بممارسة أدوار اجتماعية وسياسية متقدمة.

وهكذا، كلما كان المجتمع حضرياً أبدى مقاومة أقل تجاه نيل المرأة لحقوقها، وانتصر الفهم المرين للدين، وكلما كان المجتمع أقرب إلى البداوة والعشائرية، أظهر مقاومة أشد لتلك الحقوق.

ويظهر ذلك جلياً ليس بين البلدان العربية والإسلامية فحسب، وإنما داخل البلد الواحد نفسه، وباختلاف المناطق والأقاليم.

أما السبب الآخر الذي يفسر الموقف الراض لحقوق المرأة، فيعود إلى الجانب السياسي والمصلي. يتجلى ذلك في الحملة التي يشنها الإسلاميون في الكويت ضد ترشيح المرأة، وبالتحديد ضد النساء اللواتي يتمتعن بحظوظ للفوز في دوائر ينشط فيها إسلاميون. فقد شنت حملة شعواء ضد المرشحة في الدائرة الثالثة أسيل العوضي، عقب تسريب فيديو صور سرا من إحدى محاضراتها في جامعة الكويت تحدثت فيه عن الحجاب.

على العكس من ذلك فإن موقف حركة الإخوان المسلمين في مصر أو حركة حماس في غزة إيجابياً من مشاركة المرأة في الترشيح والتصويت، ويعود نجاح الحركتين في الانتخابات الأخيرة في جانب منه إلى أصوات النساء أساساً.

يمكن القول إذن، إن الموقف السلبي للعديد من الإسلاميين من قضايا المرأة، ليس موقفاً دينياً خالصاً كما يتصور، بقدر ما هو خليط من العادات والتقاليد الاجتماعية والكسب السياسي. ويستغل هؤلاء الدين أو بالأدق الفكر الديني، كما يستغلون أي منظومة فكرية

أخرى من أجل تحقيق أهدافهم.

ولذلك فإن المعركة من أجل حقوق المرأة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات العربية ينبغي أن تخاض بعيدا عن الدين، وفي إطار السجلات السياسية والاجتماعية أساسا، والأهم حرمان الإسلاميين من إمكانية استغلال الدين أو الزج به في هذه المعركة.